

المقالات

ننشر في هذا الباب كل ما يهم مطالعته من المقالات الفلسفية والعلمية والادبية والتاريخية والعمرائية
ما لا يدخل في باقي ابواب المجلة ويكون جامعاً لطلاوة المجدد وفوائد المفيد

تاريخ الرسل

✽ ملخص مما كتبه النياسوف رنان ✽

(تابع)

مبدأ الاحسان

ولا ريب ان المسيحية قد اقتبست من اليهودية قسماً مهماً من هذه الانشاءات العظيمة .
فان كل طائفة من الطوائف اليهودية التي كانت متفرقة على شواطئ البحر المتوسط كانت
عبارة عن كنيسة وفيها صندوق لمساعدة محتاجيها . ذلك ان الاحسان (الزكاة) كان
قاعدة من القواعد اليهودية وقد اوصى به جميع حكمائهم . وكان يؤتى في الهيكل في اورشليم
وفي المعابد في الاقاليم . وكان بمنزلة اول واجبات المؤمن . ولقد امتازت اليهودية في كل
الازمنة بعنايتها بفقرائها عناية اخوية

وعلى ذلك فمن الظلم اعتبار المسيحية بمثابة توبيخ لليهودية لان كل ما كان في المسيحية
الاصلية وارد على الاجمال من اليهودية . فاذا ادھشنا الاحسان المسيحي فانه يدھشنا
بالنظر الى العالم الروماني لا الى العالم اليهودي . فان الهيئات الاجتماعية العالمية التي تقوم على
قواعد العقل لا يمكن ان تتج نتائج بديعه كنتاج النتائج . ذلك ان شريعة كل هيئة كهذه
الهيئة تكون مبنية على الحرية واحياناً على المساواة لا على الاخاء . اما الاحسان فمن حيث
الحقوق لا يمكن ان يكون الزامياً لانه امر مختص بالافراد فقط . وكثيرون يرون فيه ما
يوجب النور منه فينفرون . هذا فضلاً عن ان اتفاق الاموال العمومية على اصلاح حال
الشعب هو عبارة عن عمل اشتراكي . وبناءً على ذلك لا تصنع السياسة شيئاً اذا رأت رجلاً

يموت او كانت طبقات عديدة من الشعب تضعف وتخط . وانما تقتصر على الاستياء من ذلك فقط . وهي بذلك تدل على انه ليس من نظام مدني وسياسي الا مع الحرية . ولكن ما هي نتيجة هذه الحرية ؟ نتيجتها ان الذي لا يملك شيئاً ولا يقدر ان يربح شيئاً يموت جوعاً . وهذا امر قانوني . ولكن ما لا بد من التصريح به ان الفساد القانوني لا يقف في وجه طبيعة الاشياء . فان حاجات الطبقة التي هي اوفر الطبقات عدداً لا بد ان تقوى على غيرها . وحينئذ لا تعود الشرائع السياسية والمدنية كافية

الشرائع الاجتماعية والشرائع السياسية

فن مجد الشعب اليهودي ونفره انه فهم هذا المبدأ واعلنه في الارض فكان به القضاء على الدول القديمة . وهذا المبدأ قد رسخ في الارض فلا يزول منها بعد الآن . وما ساعد على ترسيخه ان شريعة اليهود كانت شريعة اجتماعية لاسياسية وانبياءها دعاة اصلاحات اجتماعية لا اصلاحات سياسية . فان اليهود في النصف الاول من القرن الاول لليلاد لما وجدوا انفسهم بازاء الحقوق الرومانية وتمدنها الغريب كان لا هم لهم الا بنذ تلك الحقوق الكافرة الشادة التي تساوي بين الجميع والنداء بان حقوقهم التيقراطية خير الحقوق اذ هي وحدها تنشيء هيئة اجتماعية دينية اديية . وكانت فكرتهم الكبرى ان « الشريعة » اليهودية هي التي تجعل الناس سعداء وقد صرح بهذا كثيرون من حكمائهم منهم فيلون ويوسيفوس . اما شرائع الغير فانها تسهر فقط على اقامة العدل ولا تهتمها سعادة الناس . فكأن المسيحية عبارة عن نعمة لهذه الفكرة . فان كل كنيسة فيها دير كبير لكل واحد من اهله ما لا آخر فلا فقر ولا خبث وكل ما كان موجوداً فهو للكل والكل يراقبون الكل ويأمرون الكل . واذا رما تعريف المسيحية الاصلية امكننا ان نعرفها بانها جمعية كبيرة للفقراء او حملة شديدة على الاثرة مبنية على ان كل واحد لا يجب ان يكون له شيء فوق حاجته لان الفضول تعطى لمن لا يملك شيئاً . ومن هنا يظهر ما بين هذه الروح والروح الروماني من الاختلاف الذي يتنازعان بسببه نزاعاً للوت . ومن جهة اخرى لا نتمكن المسيحية من التسلط على العالم بعد ذلك الا بتغيير شيء من روحها هذه

نيوتن عن الاشتراك والانتظام

ولكن اذا كانت قد اضطرت الى تغيير شيء من هذه الروح فان حاجات هذه الروح ابدية لا تتنى . نعم ان هذه الروح قد تشوهت قليلاً بما طرأ عليها في العصور الوسطى

ولكن العصور الحديثة قد ظلمتها بحملتها عليها حملة شديدة . فكأننا نسينا ان الانسان لم يذق اعظم الافراح الا في حالة الاجتماع . وتنازلنا لغيرنا عن هذا النشيد « ما احلى ان يسكن الاخوة معاً » . ولكن لما يثر الاستفراد العصري ثماره الاخيرة . لما تصبح الانسانية صغيرة حزينة عاجزة بعد تجربتها هذه . لما يقوم اقسام الانسانية الاقوياء الطالبون للكمال والمتمسكون اسمى مبادئه ويطردون بالسياط رجال مبادئنا الحاضرة - فيومئذ تعود الانسانية الى المجتمعات العظيمة والانتظامات القوية . يومئذ تنظم شؤون كثير من الامور العظمى (والعلم في حملتها) على نظام الاديرة ويتوارثها اصحاب هذه الشؤون اراثاً لا دخل فيه للحم والدم . يومئذ تنقص الاهمية التي للعائلة في هذا الزمان . فان الاترة التي هي شريعة اساسية للهيئة الاجتماعية المدنية لا تكفي النفوس الكبيرة . وكل هذه النفوس تسرع من الجهات المتضادة وتعاون على مقاومة مبادئ الشراة الواطنة . ويومئذ يفهم الناس كلام يسوع حق فهمه ويفقهون افكار العصور الوسطى . انهم يفقهون حينئذ ما كان يعتقدده اهل هذه العصور من ان الانسان اذا ملك شيئاً كان ملكه هذا نقيصة ويعرفون السبب الذي من اجله تنازع مؤسسو الاديرة قروناً طويلة ليعلموا هل ان يسوع ملك في حياته الاشياء الاعتيادية . وعلى ذلك تصحج هذه الامور الفرنسيسكانية الصغيرة مسائل اجتماعية عظيمة . ويكتب يومئذ على باب فردوس الانسانية مبدأ الكمال الذي تنبأ به كاتب « اعمال الرسل » وهو قوله « كان للجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة . ولم يكن احد يقول ان شيئاً من امواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركاً ولذلك لم يكن فيهم احد محتاجاً . لان كل الذين كانوا اصحاب حقول او بيوت كانوا يبيعونها ويأتون باثمانها ويضعونها عند اقدام الرسل . فكان يوزع على كل واحد منهم بقدر حاجته . وفي كل يوم كانوا يكسرون الخبز معاً بسلام وفرح وبساطة قلب »

المسيحية خارج اورشليم

ولكن لا نمجلى للوصول الى هذا الوقت فاننا الآن في السنة ٣٦ بعد الميلاد تقريباً . وكان طيباريوس قيصر مقيماً يومئذ في كبري وهو لا يدري بالخطر الكامن للامبراطورية الرومانية والذي كان يكبر شيئاً فشيئاً . فان الطائفة المسيحية نمت في سنتين او ثلاث نمواً غربياً حتى صار قومها عدة الوف . وكان اليونانيون قد تكاثروا جداً حول الرسل حتى صار غالباً على الظن ان الوظيفة الاولى ستكون لهم . ولم يكن قد دخل يومئذ في الطائفة احد من الوثنيين اي الذين لا علاقة لهم بديانة اليهود ولكن في مقابلة ذلك دخل فيها

كثيرون من المستعمرات اليهودية التي كانت قائمة على شواطئ البحر المتوسط كقبرس وانطاكية وسيرينيا . اما مصر فلم يدخل منها احد في ذلك الوقت . وقد بقيت خارج الطائفة مدة طويلة ايضاً . ذلك انه كان بين يهود مصر ويهود فلسطين شيء من الخلاف في المعتقدات . فكان يهود مصر يعيشون مستقلين عن اخوانهم يهود فلسطين دون ان يصلهم صدى الحركات الدينية التي كانت تحتلج في نفوس هؤلاء

الفكر لا يحارب بالقوة

وقد كان مما لا بد منه ان وعظ رجال هذه الطائفة ينبّه غضب الذين حكموا على يسوع بالموت . وكانت اسرة حنايا الصدوقية لا تزال قابضة على زمام الرئاسة فكان يسوع رجلاً وانصارها ان يروا اولئك التلامذة والرسل السذج الذين لا وظيفة رسمية لهم يكتسبون اميال الشعب أكثر منهم . فقبضوا على بطرس ويوحنا وغيرها وسجنوهم وجلدوهم . وكان الجلد عقاباً للكافرين بالدين . ولم يكونوا يحتاجون الى اذن من الرومان لانفاذ هذا العقاب . على ان هذه الخشونة لم تكن الا لتزيد الرسل اصراراً في اعتقادهم . وقد قاموا من الجلد وخرجوا وهم مسرورون لانهم تعذبوا من اجل سيدهم . فما اجهل اولئك الذين يعتقدون ان الفكر يحارب بالقوة

على ان هذه الخشونة والشدة كانت صادرة عن الصدوقيين فقط . اما الفريسيون فقد برد غضبهم . وسبب ذلك ان الفريسيين انما كانوا مغتاضين من عظمة نفس يسوع ومن سهام التهم التي كان يرشقهم بها . واما الرسل فقد كانوا اناساً اتقياء لا عظمة في نفوسهم ولا تهم في كلامهم . واحياناً كان الفريسيون يميلون اليهم . وبعضهم صار منهم ودخل في مذهبهم

استشهاد اسطفانوس

وكان بين الشماسة شماس شديد الغيرة والحماة يدعى اسطفانوس . فهذا الشماس اثار غضباً عظيماً بسبب وعظه . فان الشعب على ما يظهر كان يقبل عليه لسماع تعليمه وكان ينشأ بسبب ذلك خصام شديد بين الحاضرين . وكان يعظ بحماسة مثبّتاً ان يسوع هو المسيح الذي كان ينتظره اليهود وان الكهنة جنوا جناية عظيمة بحكمهم عليه بالموت وان اليهود قوم ينكرونها الامور الظاهرة كل الظهور وهم عصاة ابناء عصاة . فلما سمع الرؤساء بهذه الاقوال عزموا على اهلاك هذا الواعظ الشديد . فوضعوا له اناساً يسمعون كلامه ليلتقطوا

منه شيئاً ضد موسى . ولما عثروا على ذلك قبضوا على اسطفانوس وجاءوا به الى المجمع . وكانت التهمة التي اتهموه بها شبهة بالتهمة التي اتهم بها يسوع . فانهم قالوا انه يزعم ان يسوع الناصري قادر على ان يهدم الهيكل ويغير ناموس موسى . فدافع اسطفانوس عن نفسه دفاعاً طويلاً مستشهداً بالناموس والزبور والانبياء وختم دفاعه بشكوى المجمع لانه حكم على يسوع بالموت فقال « يا قساة الرقاب . وغير المختونين بالقلوب والآذان . انتم دائماً تقاومون الروح القدس . كما كان اباؤكم كذلك انتم . أي الانبياء لم يضطهده اباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فانبأوا بحجى البار الذي انتم الآن صرتم مسلميه وقتاليه . لقد اخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه » (١) وعند هذه الكلمة صاح به الحاضرون بغضب فتحبس اسطفانوس اشد تحمس حتى كادت نفسه تطير شعاعاً فتشخص الى السماء فنظرت عيناه منظرًا قال فيه « ها انا انظر السموات مفتوحة وابن الانسان قائماً عن يمين الله » فوضع حينئذ كل الحاضرين اصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا هذا الكلام ثم هجموا عليه وهم يحرقون الارم . فخرّوه الى خارج المدينة ورحموه بالحجارة . وكان في العادة ان الشهود يبدأون بالرجم فلعل الشهود ثيابهم ووضعوها عند قدمي شاب شديد التعصب يدعى شاول او يواس (١) . وكان هذا الشاب قد وقف هنالك ليشارك في الرجم وهو مسرور لمشاركته في اهلاك رجل مجدف على الشريعة

الاستشهاد بين النساك والتعصب

فلما رجم اسطفانوس احدث قتله حزناً عظيماً في الطائفة فاحتفلت بدفنه وقد شاركها اليهود اليونانيون في هذا الاحتفال لانهم كانوا اقل تعصباً من اليهود العبرانيين . وبهذا المقتل افتتح سبيل الشهداء في الديانة المسيحية . وقد ادخل هذا المبدأ - مبدأ الاستشهاد في سبيل الايمان - مبدأً جديداً في الغرب كان في حاجة اليه . فانه كان بمثابة النداء الى الايمان قوة لا تعادلها قوة في الارض وان الدين واحد في العالم . غير اننا اذا نظرنا الى هذه المسألة من هذا الوجه وجدنا ان الاستشهاد بهذا المعنى انما هو بمثابة فتح سبيل التعصب . اذ في الامكان ان نقول ان الذي يبذل حياته من اجل ايمانه متى كان مغلوباً يكون غير

« (١) » قوله ترتيب ملائكة لاعتقادهم ان موسى اخذ شريعته على جبل سيناء من ملاك لا من العزة الالهية نفسها . وهذا موضع خلاف بينهم

. « (١) » هو الذي صار بعد ذلك اشهر معلني الكنيسة واعظم رسلها

متساهل متى صار غالباً . وكذلك كانت حالة الكنيسة . فانها اجتازت ثلاثة قرون والناس يضطهدونها حتى اذا ما تغلبت وانتصرت قامت تضطهد اضطهاداً عظيماً . ذلك ان الانسان اذا اراق دمه من اجل شيء نفيس فانه يميل بحكم الطبع الى اراقة دم غيره حفظاً لذلك الشيء النفيس الذي عانى في سبيله ما عانى متى رآه مهدداً

مصدر الآداب فلسفياً

لحضرة الكتاب الفاضل صموئيل افندي بني

الآداب روح المجتمع الانساني صحبت الانسان منذ وجوده الاول وارنقت بارنقائه في سلم الحضارة والعمران . وهي التي علمتها الاديان واوجبتها على الناس لانها سنة قدسية هبطت من السماء وهي التي تراءت للشارعين فسنوها وتجتأت للشعراء فهاوما بوصفها ذلك قبل ان اتجهت صوبها اقلام الحكماء وقبل ان دخلت دائرة البحث الفلسفي واذا التفتنا الى التاريخ انبأنا انه مرت على الآداب ثلاثة ادوار اكتسبت في خلالها من المبادئ السامية ما زاد في جلالها جلالاً وفي بهاء انوارها كمالاً . فالدور الاول من ادوارها الثلاثة سموه « الدور الرواقى » وهو مذهب فلسفي نشأ في القرن الرابع قبل المسيح في بلاد اليونان ومنها انتقل الى رومة عقيب فتح اغريقية فتهاوت عليه اساطين علمائها سيما نوابغ الشارعين منها فبشوا من آداب الشيء الكثير فيما سنوا من القوانين وشرعوا من الاحكام . ثم جاء الدور الثاني دور المسيحية التي افاضت على الانسانية مبادئ حب الله والقريب . والدور الثالث القرن التاسع عشر وهو الذي كشف اللثام عن وجه الحرية على تعدد انواعها من دينية وسياسية وتجارية وصناعية ومدنية بحيث عرف الحق والواجب بمعناه وشعر الانسان بانه انسان .

ومنذ دخلت الآداب دائرة البحث الفلسفي اخذ الفلاسفة يبحثون في اصولها ومبادئها ويذهبون في ذلك مذاهب شتى . على انها ترجع في اختلافها الى ثلاثة مصادر اساسية تنفرع عنها مذاهب كثيرة . وتلك المصادر هي « العقل » و « الحس » و « العواطف » ونحن نذكر للقراء الالباء ما ارتأه اساطين الفلسفة في هذه المصادر الثلاثة على قدر ما نستطيع من الايجاز المطلوب في مثل هذا المقام

✽ العقل ✽

خلق الانسان حراً لا يأتى عملاً عن غير قصدٍ وروية يؤيد هذا الكلام ويشهد بحقيقته الحس الباطن كما يشهد الحس الظاهر بالمحسوسات . وايس ثمت من قوة على الارض تستطيع نزع تلك الخاصة المميزة للنوع الانساني التي بدونها لا وجود للآداب . اذ كيف نفرض على الانسان الواجبات او نلقي عليه تبعة اعماله وهو ملزم فيما يبدية لا يفعل الاً بضرراً . وبدونها فالخير والشر والعدالة والظلم والفضيلة والرذيلة اسماء لا مسميات لها . ولا كان للعدالة ان تأخذ على يد الجاني ولا للقوم ان يكرموا فاضلاً لانه ما اجترم الذنب ولا اوتيت الفضيلة اختياراً

ولا اخال هذه القضية تحتاج الى برهان فقد عرفها البشر واعتقدوها منذ اتيج لهم الاجتماع واستوى في معرفتها واعتقادها البرابرة على خشونتهم وشظف احوالهم والحضر على اعتلاء عمرانهم وسمو شأنهم . والا فلم وضعت المحاكم ؟ وسنت الشرائع ؟ وقامت مجالس الشورى ؟ ولم وجدت النضرعات والنصائح والتهديدات والمواظ والاعتقاد العام بخلود النفس على اختلاف وجهاتها . أليس كل ذلك دليلاً قاطعاً على اعتقاد الامم بالحرية الادبية واذا نقرر ذلك فاعلم ان الحرية في الانسان تجري على سنن ثابتة لا كما يظن البعض انها سائبة . اذ كل انسان سليم العقل لا يعمل عملاً الا عن قصدٍ وروية . وجملة القول ان الانسان يندفع الى الاعمال باسباب هي " الاهواء " و " المنفعة " و " الواجب "

الاهواء - واذا تأمنا الانسان في بدء كيانه قبل ان يستمدى بنور العقل نراه كثير الاميال وتلك الاميال تلعب به كما تلعب الرياح بفسائل النبات الهزيلة . الا انه قد يعترض تلك الاميال من الموانع ما يحول دون مبتغاها فيحصل في النفس اثر ذلك حالة تسمى « انقباضاً » واذا لم يعترضها مانع وفازت بشهواتها حصلت في النفس حالة اخرى تعرف بالانبساط او المسرة . وزد على ذلك انها لتتوق الى كلما يساعد على اميالها وتفر من كلما يعاكسها في اهوائها فيتفرع عن ذلك سائر الاهواء من حب وبغض وخوف ورجبة

هذا اول مظاهر الانسان فانه ينشأ كما سبق الكلام العوبة بيد الاهواء لتصرف فيه على ما تشاء وليس ثم لقوى الادراك من يدفعه الى فعله فيه لتكبح جماحها بل الحكم للهوى الاقوى المتسلطن وقتئذٍ فيجذب الارادة اليه وتسير طبق مرامه ويستمر على هذه الوتيرة الى ان تبدو طلائع العقل فيه فينبه من غفلته ويتطالع الى حاله فيجيد امياله في منتهى قواها ويدرك من نفسه انها بحملتها ثجة نحو غاية واحدة ألا وهي اشباع طبيعته الانسانية . الا ان الملاحظة

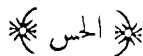
والاختبار يرشدان عقله الى انه يستحيل عليه اشباع طبيعته فيسعى الى آخر ما في الامكان من خيرها . ولا يقف العقل عند هذا الحد بل يدرك انه اذا لم يترك للقوى العاقلة سلطتها على الاهواء يتعذر على طبيعته الحصول على اعظم ما يمكن من خيرها وانه ما دامت قوى الادراك سائبة فالانسان عرضة لوسواس الاهواء فيخضع دائماً للهوى الاقوى المتسلطن حالياً عليه . فينجم عن هذه الحالة ضرران الاول ان لا شيء سريع التغير والانقلاب كالاهاواء . فالهوى الذي يتسلط اليوم لا يلبث ان يتبدل غداً بهوى آخر بحيث يتعذر على القوى العاقلة ابان تسيّد الاهواء تتبع اعمالها . ولهذا لا تنتج شيئاً هاماً . والامر الثاني انه يحدث في اغلب الاحاين ان الخير الذي يحصل للانسان من اشباع اهوائه قد يصدر عنه شرٌ كبير والشر الذي يحصل له من عدم اشباع اهوائه ينبعث عنه خير كبير . والخالصة انه يدرك ان لا سبيل لحصول الخير الا باتخاذ العقل نبراساً يستضاء به في سائر اعمال الحياة المنفعة - بهذه الامور ينتقل الانسان الى الدور الثاني اي الى النظر في المنفعة وحسابها

حيث تمتاز المنفعة بالحسبان والتعقل عن الاهواء التي تسيّر ولا يد لقوى الادراك فيها الواجب - اما الدور الثالث فهو دور الواجب او الخير وقد ضرب احد الكتبة البارعين مثلاً ليقربه من الافهام فقال : اني اودعت سرّاً خطيراً من رجل ابغضه شديداً فاذا افشيتهُ يقضى عليه فافوز بالمنافع الكثيرة . وكل ما حولي يهين لي سبيل الافشاء ويدفعني الى نكث عهده . ولا تبعه عليّ في ذلك ولا مجال لتوقع الضرر في الحال والمآل . فما الذي يصدني عن الافشاء ياترى ؟ ان في النفس قوة تحارب تلك النزعات وعقلاً يعترضني وبأمرني بكنم السرّ لانه شيء مقدس ويوحى اليّ بان خيانة العهد جرم وحطة . فلم يجب بقائي اميناً على عهده ؟ أم مجازاة لعواطف طبيعي الحساسة وقد حاربتها البواعث المعاكسة ؟ ام في الكتمان منفعتي مع ان في خيانة عهده المنافع الكثيرة . فبعد هذا اذا كتمت السرّ اكون كتمته لا رغبة في خيري الخاص انما لانه خير صرف . فارتفع بذلك من تصور خيري الذاتي الى تصور الخير لذاته . الى تصور الخير العام . الى تصور الخير المطلق

ولا ريب ان العقل يدرك مبدأ الخير ويتوق اليه بكلية لا بل ينفي امامه تعظيماً واجلالاً ويعرف انه مقدس واجب فيسديه احترام المحكوم لحاكمه ويتخذة شريعة سامية ابدية . وهو لا غرو طبعي فيه ثابت وانكاره مكابرة ولئن تعذّر ادراك كنهه وتباعدت اقوال العلماء في تعريفه فلا يوجب ذلك امتناع وجوده فقد قصرّ العلماء عن ادراك كنهه الحياة وتباعدوا في تحديدها ومع ذلك لا يختلف في وجودها اثنان

او ما ترى الناس في كل مكان وزمان يفاخرون بفضائل الفضلاء ويتحدثون عن مبرات الاكارم . او ما تراهم يشتمون من قبح اعمال زيد ويقرفون بكرّاً لذيلة ارتكبتها . فما هي تلك القوة المودعة في نفس الانسان التي بها يحكم على حسن اعمال الناس او قبحها والتي توجب عليه اتباع سنن الآداب والفضيلة . ان هي الا قوة بديهية في نفسه روحانية صرفاً لا مستخرجة من مدركات الحس ولا حاصلة فيه من عوامل التربية ولا من نتاج الاحكام . انما التربية تزيدها نمواً والاحكام تذب عن حماها لتصون المجتمع الانساني من الاضرار والشور

ولاريب بان مبداء الخير موجود في كل انسان وليس في وسع الوسائل البشرية ايجاده او ملاشاته تماماً لكن احوال التربية والبئة بؤثران في شأنه كثيراً . ذلك ما حمل البعض على القول بان الضمير او مبداء الخير من نتاج التربية . على اننا لا ننكر ان للتربية يداً في انماء تلك القوة واذكائها لكن لا قوة لها على تغيير طبيعة الانسان . وبالجملة ان شأن هذه القوى كشان سائر قوى الادراك عرضة للخمول والضعف وقابلة للازدهاء والنمو تبعاً للاحوال على ان مبداء الخير وما يفرضه من الواجب يولد فينا حالة متماز عما تولده الاهواء والمنفعة . وانه كما يحدث ان الاهواء والمنفعة تدفعنا الى عمل واحد هكذا يحدث ايضاً ان تدفعنا المنفعة والبواعث الادبية الى سبيل واحد . الا انه لا بد لهما مع ذلك الاتفاق من شيء يميزهما . ذلك بان مبداء الخير توجب وتكون عامة وتلك لتصح وتكون خاصة . وان الفرق يزداد وضوحاً في الحوادث التي تليهما . مثال ذلك اذا عمل الانسان خيراً بامل ارادته غير متبع مسرة عواطفه فاننا نحكم ان هذا الرجل لجدير بالاعتبار والمكافأة . وعكس ذلك ان ارتكب الشر فاننا نحكم عليه بالاحتقار . ولهذا يكون الحكم بالاستحقاق وعدمه نتيجة لازمة للاعمال الانسانية التي مصدرها صورة الخير وهي لا تتبع الاعمال التي تصدر عن المنفعة والاهواء . واذا سعى الانسان وراء منفعة وامتنع عليه الفوز بها فلا يخرجه ضمير على خسرتها بيد انه اذا قعد عن الخير وتهاون في الحصول عليه فقيه ضمير يخرجه وخزاً شديداً وجملة القول ان الحكم بالاستحقاق وعدمه يحصل لنا ضرورة عقيب افعال المنفعة والاهواء فهو وخز الضمير ملازمان ابدًا للافعال الادبية التي مصدرها مبداء الخير وميزان له عن سائر الافعال



يقصد بالحس هنا ما يرجع الى رفاهه ومنفعته ويراد بالمنفعة ان فريقاً من الفلاسفة

حسبها مصدراً للآداب فانكروا على الانسان حريته الادبية وقالوا انه ملتزم فيما يأتيه من الاعمال غير مختار ولا هو ذو ارادة حرة . وليس هذا التنازع الفلسفي بمحدث النشأة انما هو قديم العهد منذ ايام الرواقيين والايقورين وقد اتصل بطائفة اليهود فاحتدم لاجله نار الجدال ما بين الصدوقيين والفريسيين

على ان اشهر الفلاسفة الذين ينفون الحرية الادبية الفيلسوف هوبس وقد قال في ذلك بما معناه : اذا كان الانسان لدى شيء من الاشياء تتنازع نفسه حالتان هما الرغبة فيه والرغبة عنه . وهذا التنازع يسمى « مشورة » حتى اذا انتهى التنازع بانتصار احدى الحالتين فيسمى الانتصار « ارادة » واذا كانت الارادة « قادرة » على انفاذ رغائبها وانفذتها سميت هذه « القدرة » حرية . بحيث يكون تعريف الحرية : عدم وجود موانع تجاه الارادة . وعلى هذا التعريف تكون الحرية سواء للعافل ولغيره . فما ينسب منها للانسان يجوز نسبته للنهر ايضاً اذ كلاهما يفعلان اذا لم يجدا مانعاً يمنع هذا الفعل

وقال بجنر في كتابه القوة والمادة : ان الانسان وقواه العقلية والطبيعية هما ثمرة الطبيعة ونتائجها . ومما لا ريب فيه انها (اي الطبيعة) ليست فقط مصدر وجوده ولكنها ايضاً مصدر اعماله وارادته وعواطفه وافكاره . ثم عدد المؤثرات التي تفعل في الانسان وتكيف اخلاقه وشؤونه . فذكر منها الاستعداد الطبيعي والعقل والاميل والاخلاق التي تنتقل بالارث عن الآباء والاجداد والبئة وهي الوسط الذي يعيش فيه والتعليم والتربية والقدوة والعوائد والاحوال السياسية والاجتماعية والاقليم والبلد الى غير ذلك من الاحوال العامة . ثم عطف الى بيان الاحوال الخاصة كالصحة والتغذية والغنى والفقر والعاسة والسعادة وقال ان كل تلك الاحوال عامها وخاصها تؤثر في صفات الانسان شديداً بحيث لا تترك مكاناً فيه لحرية الارادة . ثم ايد كلامه بشواهد كثيرة منها لن القبائل النازلة جنوبي افريقيا تباعد عن بعضها في الاخلاق والعوائد ومثلها القبائل الهندية الاميركية . وان ذلك التباعد حاصل من اختلاف الاقليم والبلد . وذكر مملكة الرومان في حالتها الجمهورية والامبراطورية وافاض في الكلام عما كان من اختلاف اخلاق الشعب الروماني وتباينه في كل من الطورين تبعاً لاختلاف الاحوال السياسية والاجتماعية

وخلاصة اقوال الذين ينفون وجود الحرية الادبية ان الارادة تابعة للظروف والاحوال وان الانسان عبد للضرورة لا حر مختار وهكذا اهل هذا المذهب ينفون بتاتاً وجود المبادئ الغريزية في الانسان ويقولون

ان كل مدرکاته تحصل بواسطة الحس وما المبادئ الادبية الانتاج الترتيبية . وقد قال فولتير في قاموسه الفلسفي : لا وجود للمبادئ الغريزية وليس من شيء فطري في الانسان ولكن الله خلق فينا اعضاء قابلة للنمو والشعور لكيما يحتاج اليه حفظ النوع وان كل تصوراتنا حاصلة فينا من الاشياء التي تقع تحت الحس فاني لا الفظ ولا افهم كلمة اللاتناهي الا لاني قد رأيت من قبل شيئاً متناهياً . وزاد عليه بخبر قوله : كل من بحث في شؤون الامم العريقة في البداوة لا يرى اثرًا للمبادئ الادبية فان بعض القبائل يرون من محكم التدبير ان يقتل الرجل اباه متى عجز عن العمل وصار شيئاً مقعداً بين ان هذا العمل تحسبه الامم المتقدمة من اقطاع الشرور واشد الجرائم هولاً . على ان زعماء هذا المذهب واساطينهم المخنكين بعد ان انكروا على الانسان حريته الادبية ومبادئه الفطرية قالوا ان المنفعة هي مصدر الاعمال الادبية وان لا وجود للغير والشر مجردين بل هما نسبيان . وبعبارة اخرى ليس الافعال قيمة ادبية في ذاتها ولكن قيمتها تكون بالقياس الى نفعها او ضررها بحيث ان لاشيء منها بذاته خير او شر . فما كان من الافعال نافع ونفعه عائد على الجمهور فهو خير وما كان منها مضرً وضرره يرجع الى الجمهور فهو شر

ولما كان الانسان مدنيًا بالطبع ومدفوعًا بحكم الضرورة الى الاجتماع بغيره من ابناء نوعه وكان ذلك لا يأتي له الا براعاة ما تقوم به مصلحة الجمهور ومنفعتهم وانكار ما تنشوق اليه اهوائه من ملذاتها واساءة غيرها - فرض عليه ان يأخذ بما يعود بالنفع على ابناء نوعه ويتعد عما يرجع بالضرر عليهم . فترتب عليه الواجبات والحقوق بالتبادل ونشأت من ذلك المبادئ الادبية مبتدئة في العائلة ثم تدرجت الى القبيل والامة . على انه لا يمكن ان نقوم الآداب اولاً الا بطريقة التبادل كما سبق القول طبقاً لهذا المبدأ الكريم : افعلوا بالناس ما تريدون ان يفعل الناس بكم »

واذا اتبعنا اصحاب هذا المذهب في اقوالهم عرفنا الآداب بانها احترام حقوق الناس بالتبادل على السواء وتوطيد سعادة المجتمع . فكل ما يقلق او يهدم تلك السعادة وذاك الاحترام فهو شر وكما يوطد السعادة والاحترام المتبادل فهو خير . فالشر اذاً في عرفهم الغلو في حب الذات (الاثرة) المبني على مضرة الآخرين . على ان حب الذات صفة بديهية في الانسان ضرورية لحفظ نوعه وهي ولا ريب اذا سارت سيرها الطبيعي ولم يتطرق اليها الغلو ووفقت بين منفعتها ومنفعة الجمهور صدرت عنها اسمي مبادئ الآداب واجملها .

والخلاصة ان زعماء هذا المذهب اجمعوا اليوم على ان المنفعة العامة مصدر الآداب

﴿ العواطف ﴾

ولقد قام بعد هوبس زعيم النفعيين هتشسون وشهر حرباً عواناً على هاتيك الآراء وذهب إلى ان البحث عن مصدر الآداب يجب ان يكون في العواطف وليس في العقل والحس . ثم جعل عواطف الانسان مبعث الفضائل والواجبات وشدّ ازره الحكيم جان جاك روسو فيما ارتآه حيث قال : ولد الانسان صالحاً نقياً وفيه عواطف فطرت على الخير نتجه اليه ان لم تصدها مفاسد المجتمع . واطلق على العواطف اسم الضمير . وزعم ان العقل يخدع الانسان اما الضمير فدليل النفس ومرشدها الى الحق والواجب ولا يخادعها في شيء .

وما طال الامر حتى ظهر ادم سميث يدعم آراء استاذه هتشسون ببراعة في البيان سودته زعامة هذا المذهب ولئن ادخل فيه شيئاً من التبديل بان جعل مكان نزاهة العواطف الانجذاب القلبي والنفور . ويقصد بالانجذاب القلبي مشاركة الناس بعضهم بعضاً بالانفعالات والمؤثرات وبتعريف اعمّ مشاركة جميع الكائنات الحاسة بكل مؤثراتها . فانا اذا شهدنا رجلاً وقد بدت منه عواطف كثيرة واهواء متعددة لا نلبث ان نتوق لتحديه في هاتيك الشؤن . والعقل والارادة بمعزل عن الحكم على العواطف . مثال ذلك اذا رأينا امماً تضم الى صدرها طفلها الصغير وقد ظهرت على وجهها دلائل الحنان والرافة فلا بد لنا من مشاركتها في عواطفها وشعورها بوجود حالة فينا شبيهة بحالتها . وهكذا تكون حالنا ايضاً مع غير العاقل . فاذا رأينا عصفوراً يغرد طرباً ويثب من غصن الى آخر تنشأ فينا على اثر ذلك حالة من المسرة شبيهة بحالة العصفور . وهذه الخاصية للطبيعة الانسانية تسمى الانجذاباً قلوبياً . وبعد ان اسهب سميث في تبيان الانجذاب وتعريفه بسرد الامثال قال ان هذا الانجذاب فينا قوي لا يغلب ومن شأنه ان يدفعنا الى مشاركة الغير في مسراتهم واحزانهم وسائر انفعالاتهم النفسانية وان سبب كل فعل ادبي عاطفة النفس وليس للعقل قيمة في ذاته الا بقدر ما يستفز العاطفة من الانجذاب اليه او النفور عنه . فان جذبنا اليه كان حسناً وان نفرنا عنه كان قبيحاً . وانك اذا رأيت فعلاً حسناً جذبت اليه وفي نفسك عاطفة الشكر للفاعل والرغبة في خيره والحكم له بالاستحقاق ويعكس الامر معك اذا رايت فعلاً قبيحاً فانك تنفر منه وفي نفسك عاطفة الامتهان للفاعل والرغبة في الاقتصاص منه . هذا هو مبدأ الاستحقاق وعدمه

ثم افترض ان رجلاً ابعده الى جزيرة مقفرة وقضي عليه ان يكون منفرداً بنفسه هناك لا يساكن انساناً ولا يعاشر مخلوقاً فيعيش ولا مبدأ ولا صورة في ذهنه للخير والشر والعدل

والظلم حيث لا إيجاء للنفس بأشباه هذه المبادئ والصور ما لم تر أعمال الغير . فاننا لا نستدل في حكمنا الادبي من انفسنا على غيرنا بل من غيرنا على انفسنا . واذا لم يكن قد اتج لنا من قبل ان نشاهد ونرى اعمال الغير فلا يتأتى لنا معرفة قيم الاعمال ولا ان نحكم على انفسنا في شيء . ولذلك قيل بوجوب اتحاد عواطف الانسان بعواطف غيره وان يتخذ من الاعمال ما تجذب اليه عواطف الآخرين

هذه خلاصة من اقوال من يجعل العواطف سبباً للآداب الا ان مبدأ الخير ولا مراة هو النظام الابدي والشرعية السامية والمبدأ الكلي والقانون المطلق وهو ولا سواء المصدر الوحيد للافعال الادبية التي يترتب عليها سعادة المجتمع ورفاهه والاساس الوطيد لكل الفضائل السامية والاعمال الاثيلة التي نتفاخر بها الانسانية على مدى الايام قلنا ان مبدأ الخير مبعث الاعمال الادبية ولا خلاف في ذلك . يجوز في حكم العقل ان نجعل المنفعة مصدراً للآداب ومن خصائصها التبدل والاختصاص فتتغير بتغير الاحوال وتتكيف بتكيف الشؤون ولا تعرف التعميم والشمول فما ينفع الواحد يضر الآخر على حد قول القائل

بذا قضت الايام ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائد
فالجندي الباسل يثوق الى الحرب ويتطلع الى شبوب نارها حيث في ساحاتها الارثقاء السريع وبلوغ المراتب العالية بين ان التجار وارباب المهن يرون فيها الخسارة وكل الضرر . والاطباء يرومون كثرة المرضى لتدر عليهم الاموال وكذلك المحامون يسرهم خصام الناس وتنازعهم لينالوا الاصفر الزنان . وصاحب الملك تطيب نفسه لارتفاع قيم غلاته وآخرون يريدون هبوطها . فاني لنا بجمع هذه المنافع المتباينة الى مبداء واحد كلي شامل . واني يجوز لنا حساب المنفعة مصدراً للاعمال الادبية وشأنها كما رأيت التبدل والاختصاص وان لا تستقر على وتيرة واحدة حتى في الانسان ذاته . فان ما يراه اليوم نافعاً له لا يلبث حتى يراه في الغد مضراً فيستحيل والحالة هذه صدور الاعمال الادبية عن غير مبداء كلي ثابت . وما احسن ما قاله في هذا الصدد الفيلسوف جول سيمون في كتاب الواجبات قال ما معناه « لا تكون الحياة شيئاً اذا لم تكن ذات نظام ولا نظام اذا لم يكن مستمراً ونحن احرار وذلك يعني ان الله لم يمنحنا الدفة من غير ان يضي لنا نجماً . ومهما يكن من امر ذلك النظام فهو واحد لا يتغير في مجرى الحياة ولا يكون في انسان خلاف ما هو في الآخر . وهو واحد ايضاً في كل مكان وزمان وفي منعة عن ان تمسه عواصف الاهواء

وعوضاً عن ان يكون وقنيًا متقللاً فهو مستحکم راسخ ابدى »

على ان بين مبدء الخير والمنفعة تفاوتاً بيناً وفارقاً كبيراً وهذا التباين بينهما عرفه البشر يوم خرجوا من البداءة ونزلوا مراتع الحضارة . وحسبنا على ذلك دليلاً انهم منذ بداوا يكتبون تواريتهم جعلوا يدونون فيها كل ما طرأ على مجتعاتهم من الحوادث والشؤون وكل ما جال في اذهانهم من الخواطر والافكار . وانك اذا تصفحتها وجدت بها ملائمة هذه الكلمات : الواجبات . الحق . العدل . المحبة . الرحمة . واشباهها من كل ما ينطوي تحت مبدء الخير ويدخل في دائرته فضلاً عن ان هذه الكلمات موجودة في جميع لغات العالم حديثها وقديمها بذات المعنى المراد منها اليوم كما انه يوجد ايضاً فيها كلمات بمعنى المنفعة . والاثرة . والاهواء . الا انهم لم ينزلوها منزلة الكلمات الاولى من التجلة والاعتبار وانما وضعوها في ذات الرتبة التي نضعها فيها اليوم وميزوها عن بعضها كما نميزها نحن تماماً . ولو لم يكن هذا الفارق موجوداً عندهم لاستحال على الاثنيين ان يفهموا كلام ارستيدس يوم خاطبهم قائلاً : ايها الاثينيون ثيموستكل ينصحكم ونصيحته تنطبق على منفعتم لكنها تضاد العدل

واذا استنطقنا التاريخ قص علينا ان عدداً كثيراً من الرجال الافاضل باغوا المكانة العليا من اكرام مواطنيتهم والسدة الشماء من اعتبار قومهم لا لشرف منبتهم وواسع ثروتهم وبسطة جاههم لكن لآداب باذخة وفضائل سامية . وكم في محفوظ التاريخ من نباء عن رجال الانسانية الذين لم تأخذهم في جانب الواجب منفعة ولم يشغلهم عنه هوى بل افتدوا الواجب بدم كريم لا يباع ولا يشترى . هالك سقراط يوم حكم عليه المجلس الاثيني بالقتل فانه رضي بالموت في سبيل الحق عن ان يخون ضميره فشرب السم الزعاف وراح شهيد الادب البحت . ساني عن شهداء المسيحية وما فعل بهم تديرون صاحب رومة وسواه من الظلمة العتاة وكيف سيقوا الى السجون ظمناً وعدواناً واخذوا بالسيف ودفعوا لانياب الكواسر لتنهش اجسادهم وهم راضون يؤثرون العذاب على الجهر بغير ما يعتقدون . وكما رأينا من فئة ترفعت الى مقام الحق الاعلى فلم تر غير الحق والواجب وتلك الفئة لم تخل منها امة من الامة ولا مرّ زمن على مكان من الارض لم يكن حافلاً بنفركرام . وان كنت في ريب فسل التاريخ كم نشر في طياته عن الابطال الذين ذهبوا فداءً اما عن وطنهم او حريتهم او العدل او الرحمة او الصداقة او اشباه هذه المبادئ الجليلة

فلتقل لنا المنفعة ما هي تلك القوة العظيمة المودعة في هاتيك النفوس الطاهرة التي ذهبت ضحية على مذبح الحق والواجب ؟ ولنقل لنا ايضاً ما الذي جعل رجال الانسانية وابطالها

النبلاء في اعلى مكان من احترام الناس واعتبارهم وما الذي خلد ذكرهم في الالسنه مقروناً بالاعجاب والتجمله على ترامي الاحقاب وممر الاجيال ؟ هنا نرى المنفعة قد تولاهما العي وعراهما المحصر ولبثت وستلبث صامتةً ليس فقط بازاء الوجدان الشخصي بل تجاه وجدان النوع الانساني المعلن في التاريخ

وما يُقال في المنفعة وبعدها عن ان تكون مصدراً للآداب يقال اكثر في العواطف لانها ابعد مسافة من محبة الصواب . على اننا لا نحتاج في دحضها للدلالة الكثيرة لانه بمجرد النظر في طبيعتها يتضح للباحث عدم اقتدارها لان تكون اساساً للصواب والحق . ذلك لان من خصائص الاميال والاهواء التغير والاختلاف وانها اذا تركت لذاتها قام التنازع بينها وصيرت الانسان في حالة لا يستطيع معها الجزم في امرٍ . ومن صفاتها المميزة لها ان تكون شخصية وتابعة لاحوال الزمان والمكان والجنس والمزاج . فهل يصح في الافهام حساب العواطف وهي على الشكل المذكور بديلاً من مبداء كلي مطلق راسخ

واغرب من ذلك ما ذهب اليه سميث في معرفة الخير والشر والاستحقاق وعدمه مما مر بنا الكلام عليه . فكل منا يعرف ان الانسان اذا اراد الحكم على فعل ادبي بعدلٍ مقرون بالتدقيق وجب عليه ان يتنزه عن كل ميل ويتجرد من كل عاطفة حتى يصدر حكمه مطابقاً للعدل والصواب . فكيف يجوز والحالة هذه ان نتخذ عواطفنا حكماً في الافعال وميزاً بين صالحها وطالحها

هذه لمعة من آراء جهاذة الفلسفة في مصدر الآداب ذكرناها اختصاراً . على ان من تتبع الاسهاب في كلامهم وامعن النظر في ادلتهم الكثيرة يرى ان مذهب القائلين بمبداء الخير (او الفهمير او الواجب) اقرب من غيره الى الصواب . والله اعلم



اقتراحات الجامعة

الاحلام وصدقها - المداينة والمدارة

رأينا في كثيرين من القراء والادباء ميلاً الى الكتابة في الجامعة وقد كثرت لدينا رسائلهم في مواضيع مختلفة فكنا نضطر الى ان نضرب صفحاً عن نشرها لانه لا يمكننا ان ننشر في الجامعة الا ما نرى وجوب نشره فيها . ولكننا رغبة في ارضاء محبي الكتابة وجدنا طريقة تحل هذه المشكلة التي تكون في بعض الاحيان مشكلة حقيقية . وهي ان تعين المجلة نفسها المواضيع التي تقبل الرسائل فيها بطريقة اقتراحات تقترحها

وهناك امر آخر وهو ان بعض الادباء والقراء يروقههم كثيراً باب الاسئلة والاجوبة وقد طلبوا ذلك غير مرة . ووردنا في هذا الشهر اربع رسائل يطلب اصحابها فتح هذا الباب في الجامعة . فراءنا ان نجيبهم الى ذلك ايضاً . وسنعود الى فتح هذا الباب في الجزء القادم

اما اقتراحات هذا الجزء فهي ما اقترحنه في الجزء السابق بشأن « صدق الاحلام » و« المدارة والمداينة في الاجتماع » وهما مجتاثان اقرب الى الفكاهة منها الى الفائدة . وقد وردتنا اجوبة عديدة ننشر بعضها

١

الاحلام وصدقها

حضرة الفاضل منشيء مجلة الجامعة

قرأت في باب الاخبار العلمية من العدد الاخير من الجامعة ما كتبتموه عن الاحلام وقد اقترحت على قرائها ان يرسلوا اليكم كل ما يعرفونه عن صدق الاحلام . فها انا اورد للجامعة ما سمعته من امي عن بعض احلام رأتها وصدقت . ولو اني لست من مشتركي الجامعة بل احد العشرة الذين يلتفون حول المشترك ليقروا الجزء . قالت امي . انها لما كانت في سن الشباب كانت ترى الزائرين في الحلم قبل زيارتهم للمنزل فكانت تنظف البيت وترتبه اسعداداً لهم وقد كانت احلامها دائماً تتحقق . منها انها حلت مرة انها واقفة داخل حمام وبلاط الحمام حامٍ للغاية فاحتترقت قدمها من حرارته ثم احسنت ان رأسيها احترق ايضاً

وكان لهيب النار يخرج منه . فوضعت يدها على رأسها وصرخت لعدم استطاعتها احتمال هذه الحرارة . وقد استفسرت بعض العارفين بتفسير الاحلام فاخبرها بقرب وفاة زوجها . ولم تنص مدة حتى تحقق هذا الحلم . فكأن العناية الالهية قبل وقوع المصائب على بني البشر تحبرهم عنها بواسطة الاحلام حتى يستعدوا لها ويحتملوا جزءاً من المصائب قبل وقوعه والجزء الاخير عند وقوعه . ليت شعري هل ابخرة المعدة وتصورات الخيال تأتي باحلام كهذه الاحلام . اننا نعرف ان رأس المرأة هو رجلها واني رأيت رأسها يشتعل باللهيب الخارج منه واستدل المفسر من ذلك على قرب وفاة زوجها فصدق . او هل رؤية الزائرين قبل اتيانهم الى المنزل وتحقق ذلك في اللحظة تأتبه ابخرة المعدة وتصورات الخيال . ان ذلك اكبر دليل على صدق الاحلام وان تحت ذيلها علماً واسعاً يحتاج الى البحث والتدقيق . ولعلنا نصل يوماً الى هذا العلم

اما اعتقادي في الاحلام فهو ان الله بحكمته الازلية قد وضع للبشر واسطة يعرفهم بها ارادته سواء كانت ارادته فعل شيء او وقوع مصيبة . وهذه الواسطة هي الاحلام . ثم اذا سئلت وكيف نقدر نفسير هذه الاحلام لنعرف ارادته عز وجل فاجيب نفسرها بواسطة مقارنة الحلم مع الاحوال . مثال ذلك اذا حلم انسان انه وجد خاتماً فيراقب الاحوال التي تحدث ويكتبها في مذكرة معه فربما تكون احدي هذه الاحوال حضوره عرساً . ثم اذا حلم بالخاتم مرة ثانية وحضر عرساً ايضاً فيتأكد ان رؤية الخاتم تنبئ بمجدوث عرس . وبهذه الطريقة يمكننا تفسيرها . هذا واني لا اريد ان يفوت الجامعة معرفة ما كانت يكسبني اعتقادي هذا من اللذة في بعض الاوقات فقد سبق وقلت انني اعتقد انها الواسطة لمعرفة ارادة الله . فاذاً بها يعرف الانسان اشياء عن مستقبله . فتراني في بعض الاوقات عند ذهابي الى الفراش والقاء رأسي على الوسادة اتلذذ كثيراً ويمتلي قلبي فرحاً لافتكاري باني ساحلم احلاماً تربني ارادة الله واشياء عن مستقبلي . هذا هو اعتقادي بالاحلام وهذه هي اللذة التي اكسبني اياها اعتقادي . واني اظن ان كل من يعتقد اعتقادي ينتظر ان يعم هذا الاعتقاد حتى يصير عالمنا الارضي اشد ارتباطاً بالعالم السماوي وبوجوده الاقدس بواسطة معرفة ارادته

جبران صفرة

الاسكندرية

حضرة الفاضل منشيء الجامعة الغراء

اقترحتم في العدد الماضي على القراء ان يرسلوا للجامعة كل ما يعرفونه من تهويل صدق

الاحلام « سواء كانوا هم الذين راوها ام كانوا قد سمعوا بها من اصدقائهم » وقد جال في خاطري ان ارسل للجامعة شيئاً من ذلك على سبيل الفكاهة فاقول
 اخبرني صديق لي ذات يوم بينما كنا نتحدث في موضوع (صدق الاحلام وكذبها)
 قال : قالت لي امي في يوم ما . حملت حملاً لم ازل اردده في ضميري بخوف وارتباب وقصته
 عليّ فقالت : رأيت على حائط البيت رفاً عالياً قليلاً ثم نظرت فوجدت على الرف ثلاث
 بكرات من الخيط الابيض كل واحدة منهن اكبر من الاخرى فمددت يدي لآخذهن فمسكت
 البكرة الكبرى وكانت هي الاولى ثم مددت يدي ثانية فاخذت البكرة الوسطى وكانت تاليها
 ثم تناولت لآخذ البكرة الثالثة وكانت تاليها فلم اتمكن من آخذها وقد حاولت مراراً فلم اتمكن
 واخيراً امسكت بطرف خيط البكرة وجعلت اسحبه قليلاً حتى انقطع ففزعت من ذلك وقت
 من نومي مرعوبة استغفر الله . قال الصديق وكنا ثلاثة اخوة فلم يمض زمن قليل حتى
 مرض اخي الاصغر ومات . اقول ذلك وانا متأكداً كد صدق الاحلام ان لم يكن كلها فبعضها
 وان لم يظهر صدقها في الحال ففي الاستقبال

راو

طنطا

حضرة الفاضل منشيء مجلة الجامعة

اقترحتم في العدد الاول من السنة الرابعة للجامعة البنية على حضرات قرائها الكرام ان
 يرسلوا اليها كل ما يعرفونه من قبيل صحة الاحلام سواء كانت حدثت لهم او لاحد اصدقائهم
 وقد حدا بي اقتراحكم هذا الى ان ابعث للجامعة بالحلم الآتي تفككة . فاقول
 حملت في احدى الليالي ان احداً اصحابي دعاني الى ليلة انس في منزله فلبيت الدعوة
 شاكرًا . ولما ذهبت الى منزله جلست مع الجالسين . ومن عادتي اني لا ادخل منزلاً الا
 وارفع طربوشي عن رأسي واضعه امامي . وبعد ان استقرت في المقام رفعت الطربوش
 ووضعت امامي ومكثت جالسا الى انتهاء السهرة . وبعد ان خرج المدعوون نهضت على
 الاثر طلباً للخروج . فصاحت الداعي بعد ان شكرته على دعوته اياي وذهبت توا حيث
 كنت جالسا لاتناول طربوشي واذهب . ولكنني لم اجد طربوشي . فصرت اخطري في منزل
 الداعي ذهاباً واياباً فما كنت اهتدي اليه . وبعد ان اعياني التفتيش والانتظار معاً صحت
 في وجه صاحب المنزل : اين طربوشي . اريد طربوشي . فما شعرت الا وابن اخي يقول
 لي : قم يا عمه . صارت الساعة الثامنة . فانتبهت من النوم مذعوراً وقلت له : اين الطربوش .

فاجابني ان اخي اخذه وتوجه الى المدرسة . وهنا لا اقدر ان اصف عظيم الدهشة التي اعترتني عندما سمعت هذه الكلمة

الاسكندرية

توفيق

حضرة الفاضل منشىء الجامعة

لست ممن يصدقون الاحلام ولكنني مع ذلك تعرفوني الدهشة من بعضها وارى فيها رمزا الى الحياة . وانا اروي حلمين من هذا القبيل واضمن صدق الرواية . من ذلك ان تاجراً كان يشتغل بتجارة فابتاع شيئاً كثيراً من البضائع وفي آخر يوم من الاستبضاع خطر له وهو على فراش النوم ان يعرف المبلغ الذي انفقه والقيمة التي بقيت معه . ولكنه كان نعلسان فقال في نفسه اني اعلم هذا الحساب في الصباح . ففي الصباح انتبه من النوم وهو يفكر انه بقي معه ٢٧ جنيهاً . ثم قوي فكره هذا فقام الى صندوقه وعدّ المال الباقي معه فوجده ٢٧ جنيهاً تماماً

وقد قص هذا الحلم على احد اصدقائه فاجابه ان القوة العاقلة في دماغه احصت في الليل على غير علم منه قيمة المال الذي انفقه على شراء البضائع وطرحته من راسماله واستخرجت الباقي . فهذا اذا حلم معقول طبيعي . وكثيرون من الرياضيين والعلماء يجدون في الرقاد حلّ المسائل والمشاكل التي ينامون وهم يفكرون فيها . حتى ان بعضهم قد ينهض من فراشه ويكتب ذلك الحلّ ثم ينام . وفي الصباح ينهض دون ان يذكر شيئاً مما جرى لولم ير الحلّ على مائدته

والحلم الثاني ان صديقاً خارج مصر في اثناء حدوث الهواء الاصفر فيها كتب اليه يقول له : نظرتك امس في الحلم مرشوقاً بسهم قوي فاصابك دون ان يضرك . فما تفسير هذا . وكان هذا الصديق المرشوق بالسهم قد اصابه في نفس ذلك اليوم تقرّباً اسهال شديد الزمه الفراش وخيف ان يتحول الى كوليرا ولم يذهب الا بدواء الكوليرا نفسه

وانني لست ممن يستحسنون الخوض في هذا البحث لانه يزيد اعتقاد الناس بصحة الاحلام وهذا امر يضرهم لانهم كثيراً ما يعملون بهوجبها فيكونون كائنهم يضعون زمام حياتهم في ايدي خيالات الليل . ولا ريب عندي ان هذا الامر غير مقصور على البسطاء بل هو يتناول جميع الناس من بعض الوجوه . مثال ذلك ان زيداً صديق ل بكر . ففي احدى الليالي يحلم ان بكرًا اوقع فيه اذية شديدة لا تدوم معها صداقة مهما كانت قوية وخالصة .

فينزعج زيد اشد انزعاج . وهو ينهض من النوم ويرى بكرًا صديقه ويعلم ان تلك الاذية لا وجود لها ومع ذلك كله يبقى في نفسه شيء من النفور من بكر . فكأن الصداقة القديمة قد خدشت من احد جوانبها . وهذا كله من اجل حلم . فلا ريب ان العلم اذا تمكن في المستقبل من جعل الانسان يحلم احلامًا محببة او احلامًا مكروهة فانه يقبض بذلك على عواطف الانسان ويوجهها حينئذ حيث يريد . ولا يعود الحب والنفور امرين طبيعيين واضطرابين في بعض الاحيان بل يصيران امرين صناعيين وبناءً على ذلك فقد تحولت الآن مسألة الاحلام عن وجهها . فلم يعد البحث في صدقها وصحتها فان هذا حديث خرافة ولكن صار البحث في تأثيرها على عواطف الانسان وهذا امر لا ينكره انسان

الاسكندرية احد القراء

٢

المداينة والمدارة

اما الاقتراح الثاني « المداينة والتلقي والتزلف والمدارة » فنكتفي منه برسالتين اولاهما لحضرة الشاعر الناصر صاحب التوقيع وهذا نصها

« لا شيء ابغض الى نفس المرء واثقل على طبعه مما كانت مرتبته من الضعة من اظهار غير ما يضمير واعلان نقيض ما يسر . فالتلق وما جرى مجراه ليس بالسهل على النفس الى حد ان تتصاغر معه امام الوجدان والحقيقة وتخالف باستشعاره ما رسخ فيها من اعتقاد وثبت من يقين . فالتزلف على ما اصطاح القوم (او التملق او المداينة) انما ياتي في هذه النقائص مدفوعاً اليها بما يراه من تكلفها بلجب ما يسره من خير ودفع ما يسوءه من شر وضير . وقد تسامحوا في الكذب اذا انجى من مكروه وهو اشد آفات الفضيلة واعدى اعدائها وحسبك من تقبيح الكذب والخط من قدر الكاذب انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم (ا يكون المؤمن جباناً قال نعم قيل ا فيكون بخيلاً قال نعم قيل ا فيكون كذاباً قال لا) وقال صلى الله عليه وسلم (ان الكذب يهدي الى الفجور وان الرجل ليكذب - اي مرة بعد مرة - حتى يكتب عند الله كذاباً)

وقال اعرابي لابنه وسمعه يكذب : يا بني عجت من الكذاب المشيد بكذبه وانما يدل على عيبه . ويتعرض للعقاب من ربه . فالأثم له عادة . والاخبار عنه متضادة . ان قال حقاً لم يصدق . وان اراد خيراً لم يوفق . فهو الجاني على نفسه بفعاله . والدال على فضيحه بقاله . فما صح من صدقه نسب الى غيره . وما صح من كذب غيره نسب اليه

تساحوا في الكذب وهذا مكانه من الضعة ومحل المهانة اذا خيف ان يجرّ الصدق
شراً او يجلب ضرراً وهذا الراجز يقول

ورقع الحرق بلطفٍ واختبئ
وامكر اذا لم ينفع الصدق وكذ
وانك لو قلت له كيف عمي عليك وجه الصواب فوضعت المكر موضع الكذب وماها
من الاضداد لقال ما بي من خطأ ولكني كرهت ذكر هذه النقيصة التي لا يستعذب ذكرها
اللسان ولا يسبح اسمها ذوق انسان . فيا عجباً للناس يستعظمون القول ويستصغرون
الفعل . واشد من هذا ما قاله بعد

الشهم من يصلح امر نفسه ولو يقتل خله او عرسه

فان من يقصد قلع ضرره لم يعتمد الا صلاح نفسه

ويا لله من ذلك الصلاح المعكوس . ماذا يجب ان يقال عن هذا الراجز وقد وضع
ارجوزته لتهديب الاخلاق وثقويم الطباع . وظن انها من اكبر واشرف وسائل الاستفادة
والانتفاع . من احق باللوم هوام الحريري الذي اخذ عليه بعض كتّاب العصر قوله في
احدى مقاماته

عش بالخلداع فانت في دهر بنوه كأسد يشه

وأدرّ قناة المكر حتى تستدير رحي المعيشه

واظن ذلك الآخذ او المؤاخذ لو وجد في المجال سعة ل زاد في الخط من قدر صاحب
المقامات بايراد قوله :

ياليت شعري أدهري احاطَ علماً بقدرية

وهل درى كنه غوري في الخلدع ام ليس يدري

كم قد قمرت بنيه بجيلتي وبكري

وكم برزت بعرف عليهم وبمكر

اصطاد قوماً بوعظٍ وآخرين بشعر

الى ان يقول :

ولو سلكت سبيلاً مألوفة طول عمري

لخاب قدحي وقدحي ودام عسري وخسري

لاي شيء نلوم الحريري اذا قال اكثر من هذا وهو انما وضع مقاماته في قالب خيالي
وفكاهي معاً ومثل هذا المقال انما جاء على لسان (بطل المقامات) المعروف الذي طالما عنفه

الحريري لتوخي هذا المسلك وانتهاج ذلك السبيل . أأمن الانصاف ان نذكر للحريري تلك المساوىء الخيالية ونعوض الجفن عن مثل قوله في نفس المقامات

واذا مطلبٌ كما حلة العا رر فبعداً لمن يروم نجاذه
ومتى اهتز للدناءة نكس عاف طبعه واهتزاه
فالمسايا ولا الدنيايا وخير من ركوب الخنى ركوب الجنازه

لا جرم ان الراجز احق بالملامة وأولى بالمعقبة . على اننا لو تدبرنا الامر رأينا انه قد جرى على سنة العقلاء فامر بما يستطيع رجاء ان يطاع - نقول ذلك عنه ونعلم انه لو بُعث فنوقش الحساب على قوله لما اجابنا بغير هذا الجواب ولا عمد الى سواء في دفع اللوم او العتاب . على اننا ندعه في حفرة آمناً مطمئناً ونقبل على ما كنا فيه فنقول ان التلق والمداهنة من ضروريات هذا الاجتماع الذي يخطئ من يقول انه قائم على اساس الحقيقة او دعمة الفضيلة اذ لو كان كذلك لما كان للناس من حاجة الى تينك الخلتين الذميتين ورحم الله القائل :

ظهر الكذب في الورى والنفاق فلسوق النفاق فيهم نفاق
ولقد بحضورنا الشيء الكثير من اقوال المتقدمين التي تجول فيها روح التلق والمداهنة وزعموا انها في معنى المداراة والمسألة فمن ذلك قول بعضهم
كن مع الناس كيف كانوا ووافق ان من لا يوافق الناس مائق
اي روح يرى القارئ في هذا البيت وائي حكم يطلق عليه بل بآي عين ينظر الى قول الآخر

من يحمد الناس يحمده والناس من عابهم يعاب
أليس في ذلك صورة من صور المداهنة المزدولة ؟ بل أليس هذا القول مبداً هاهنا المتين واساسها المكين . ومثله قول الشاعر

عظم الناس نل تعظيمهم واجتنب تحقيرهم فهو الردى
ما معنى هذا التعظيم المطلق والانذار الخفيف . واي علاقة بين المداراة وهذا القول الملقى على عاهنه . كيف اعظم من لا ارى التعظيم من حقه . واي نفع لي في ان يعظمني من لا يعرف معنى العظمة الحقيقية التي لاتصدر الا عن الفضيلة ولا تكون حقاً لغير الفضلاء .
ألم يكن يكفي القوم في الحض على المداراة ما قال قائلهم واصاب
اصبر على خلق من تعاشره وداره فالليب من دارى

لاندرى ما هذا الخلط من الناس (وما اشبه المتقدمين بالمتأخرين) بين المداراة والمداينة على شدة تنافيهما واختلاف امريهما . ومتى صحَّ أن يكون الحزم والنفاق سبيين . وحسن الرأي والغش اخوين . لا احسبني في حاجة الى ايراد ما قيل في النفاق والغش من اقوال الانبياء والحكماء ، ولا ما جاء في المداراة والمسالمة . وكفى ان اذكر عن الشطر الثاني قول النبي العربي صلى الله عليه وسلم « اُمرت بمدارة الناس كما اُمرت باداء الفرائض » . وقد رأت العلامة الطرطوشي يقول في كتابه سراج الملوك (من دارى سلم ، ومن داهن اثم ،) وهذا باب اختلط على معظم الخلق فداهنوا وهم يحسبون انهم يدارون الى ان يقول « واعلم انه اذا سقمت المداراة صارت مداينة فالمداينة » ان توافق الناس على وجه يذهب فيه دينك « والمداراة » تخالفتهم على وجه يسلم معه دينك « - هكذا يقول هذا العلامة وهو قول من الصواب بمكان ويعجبي في المداراة والمصالحة قول احد الاعراب

اكاشع اقواماً على سرّ بغضةٍ واضحك في وجه العدو المكاشع
اربه كذاكم ما اريه وانقي به في غدٍ خوف الجدود العواثر
كلانا يرى ان ليس في الصدرية على حقيق بين الشزا سيف واغر

وكيفما كان الفرق بين المداراة والمداينة فان كلمة الحق مرة في الاذواق ثقيلة على الاسماع وقد كان يقال : من قلَّ صدقه قلَّ صديقه . اما الان فقد انعكست الحال فاصبح الصدق مجلبة العداوة ومدرجة الجفاء والقطيعة . فمن لك في الناس بمن ان قلت له اخطأت عمد الى اصلاح خطأه شاكرًا لك صديحك - من لك بمن يرى الصديق والصدقة بعين ذلك القائل : صاحب صديقك ما بدالك نصحه فاذا ارباك غشه فتحوّل

من لك بمن ينهم ان النصيحة روح الصداقة وان الغش من حقه ان يكون داعية العداوة ولقد كنت في عهد حدثي الوم العلامة الطويراني لقوله في رسائله (النسر الدهري)

واني ان اداهن او اداهي فتلك سجية البشر الوضع
بها قامت مصالح كل حيّ فتمّ نظام عالمنا البديع

اما اليوم فلا لوم اذ وضع السبيل وبدا الدليل . وان من يريد انتزاع تلك النقائص من النفوس لكمن يقاوم الطبيعة ويدافع الاقدار واني لاسمع المعري يتاديه من جانب حفرة بعض ما يؤثر من حكمته

اردت تهذيب هذا الخلق من دنس
والله ما شاء للاقوام تهذيبا
الذلجات احمد محرم

وهذه الرسالة الثانية

« اذا كان الغرض من اقتراح الجامعة معرفة هل يمكن ان يعيش الانسان من غير مداينة وتزلف وتقليق فالجواب سهل . وهو نعم ان ذلك ممكن . وهذا امر لا ينكره احد . ولكن اذا كان الغرض معرفة هل يعيش الانسان في هذه الحياة « وينجح » فيها من غير تزلف ولا مداينة وتقليق فقد صار الجواب عن ذلك صعباً

انني ارى ان فوق مبداء النجاح في الارض مبداءين اشرف واسمى . وهما مبداء الادب المحض ومبداء الاصلاح في الارض . وهذا المبدأ (الاصلاح) لو بني على التزلف والتقليق والمداينة والمدارة لما رسخ في الارض شيء نافع ولما قدر الرسل والانبياء ان يصنعوا شيئاً . فالجنس البشري في الارض اذا كان يتقدم ويسير الى امام فانما يتقدم باصحاب المبادئ الذين يعملون بمبادئهم حرفاً ومعنى دون ان يتساهلوا فيها . اما التقليق والمداينة والمدارة والتزلف فهي مما يسهل معاملات البشر ويجر لهم المنافع ولكنه لا يقدم الافكار والعقول خطوة واحدة

وايئس المراد بذلك ان يتصائب كل صاحب مبداء في مبداءه ويحمل سيفاً ليدافع به عنه . فان هذا يدعى خشونة وقلة ادب لا فضيلة وادباً . وانما المقصود ان لا يتساهل صاحب المبداء في شيء من مبادئه ويبقى مع ذلك هادئاً راسخاً باشأ مسالماً لان المبادئ لا يليق بها غير الهدوء والرسوخ والبشاشة والمسالمية . وهذا هو التساهل الذي يشير به الحكماء لا التنازل عن المبداء او ستره او انكاره طلباً للفائدة

وبناءً على ذلك يكون الحد الذي يمكن للانسان التساهل عنده ولا سيما في معترك الحياة ومزاحمتها هو جعل مصلحة غيره مقياساً لتساهله لا مصلحة نفسه . اي انه اذا وجب عليه ان يداري دارى لا طلباً لنفعه الخاص بل فراراً من ان يسيء الى سواه . والبعد بين الامرين كالبعد بين الارض والسماء »

✽ اقتراحات للجزء القادم ✽ هذا ما نشرناه في اقتراحات هذا الجزء اما الاقتراحات التي تقبل الجامعة الرسائل فيها للجزء القادم فهي التالية « هل يصير التعليم مجانياً الزامياً لكل ابناء الامة في مصر في المستقبل . وكم هي المدة اللازمة لذلك . وهل يفيد ذلك البلاد الفائدة المطلوبة اذا كان التعليم على الطريقة الحاضرة . واذا كان التعليم منحاجاً الى اصلاح فما هي اهم وجوه هذا الاصلاح » - ولا يخفى ما لهذا الموضوع من الاهمية ليس في مصر فقط بل في جميع بلاد الشرق

السما والارض والانسان

رأى جديد غريب الرفيق درون

من المشهور ان رجال الدين في اوربا وفي كل مكان قد قاوموا الاعتقاد بكروية الارض ودورانها مقاومة شديدة . ولم تكن تلك المقاومة منهم عن جهل او عن مقاومة العلم بل عن خوف من ان يهدم هذا الاعتقاد شيئاً من معتقدات البسطاء ويحجر الانسان الى التصاغر والسآمة من الحياة . فقد كان من الشائع في الزمن القديم (دينياً وفكرياً) ان الارض هذه هي مركز الكائنات وان الكون كله قد خلق من اجلها ومن اجل الانسان ساكنها . وهذا الانسان هو سيد المخلوقات وسلطانها لانه ارقاها كلها . واما الاعتقاد بكروية الارض ودورانها حول الشمس فانه يجعل هذا العالم بمثابة قبضة من التراب سابحة في الفضاء مع ملايين غيرها من قبضات اكبر منها والانسان يعيش عليها كالديدان على برنقالة في شجرة . وعلى ذلك لا يعود للخالق سبحانه وتعالى عناية خصوصية بهذا الانسان وبارضه اذ مثله ومثلهما كثير في الفضاء الابدى . هذا فضلاً عن ان الحياة والعالم يصفران حينئذ في عيني الانسان العاقل ويرى كل شيء كبير في هذه الارض صغيراً حقيراً بالنسبة الى عوالم الابدية التي يراها فوق راسه في قبة السماء كأنها نقط صفراء في صحيفة زرقاء . وكما ان كتاب كوبرنيك الذي ظهر في عام ١٥٤٣ قد احدث انقلاباً عظيماً في علم الفلك لانه اثبت ان ارضنا هذه ليست مركزاً للعالم بل هي سيارة تدور حول الشمس كسائر السيارات فان المستر ارثر ولس العالم الطبيعي الانكليزي يرى اليوم رأياً جديداً سيحدث انقلاباً عظيماً في هذا الشأن اذا كان صحيحاً

﴿ مقام الراي ﴾ وقد نشر المستر ولس رأيه هذا في « فوريتلي ريفيو » وهي مجلة انكليزية من افضل المجالات وعنوان مقالته فيها « مرتبة الانسان من الكون » ولكن قبل ان نلخص رأيه يجب ان نذكر شيئاً عن هذا العالم للدلالة على مقامه العلمي في قومه

كان المستر ولس رفيقاً لدرون العالم الطبيعي المشهور وهو واضع مبداء « تنازع البقاء » وسابق دروين الى مبداء « الارتقاء والتحول والاخيار الطبيعي » . ولذلك نادرة لا يخلو ذكرها من فائدة . فان درون صرف عشرين سنة وهو يبحث في هذا المبداء حتى اثبتته

فلما اطالع السير دافيد ليل عليه حثه على نشره بين العلماء . فاخذ درون يشتغل بكتابه . ففي ١٨ يونيو من عام ١٨٥٨ بينما كان درون قد فرغ من نصف عمله ورده كراس من المستر ولس مقرون بكتاب منه يسأله فيه ان يطالع هذا الكراس واذا وافق على ما فيه فليدفعه الى السير دافيد ليل ليطلع وينشر . وكان درون لم يلتق بالمستر ولس الا مرة واحدة . وكان عمر المستر ولس يومئذ ٣٥ سنة وعمر درون ٥٠ سنة . فطالع درون هذا الكراس فوجد ان مؤلفه قد اثبت فيه ذات المبدأ الذي مر عليه هو عشرون سنة وهو يبحث فيه . فانتما حينئذ ونشرا مبداءهما في مقالة واحدة وقعا عليها معا . وكان اكتشاف درون نتيجة بحث طويل وصبر شديد لانه لم يتوصل اليه الا بعد التقيب والملاحظة عشرين سنة . وكان اكتشاف ولس نتيجة وحى عقلي وقد كتبه في ثلاث ليال . وهذا خير مثال لنوع العقل البشري في النوابع ودليل لا ينقض على صحة توارد الخواطر . ولكن لا عجب في هذا التوارد لان كلا من درون ولس قد انتبه الى هذا المبدأ من مطالعته كتاب ملتوس الاقتصادى الانكليزي في الشعوب والقبائل

﴿الرأي﴾ * هذا هو المستر ولس صاحب الرأي الجديد الذي نحن الآن في صدده . وهو اليوم شيخ جليل في نحو الثمانين من عمره . وبعدهذا الايضاح ننقل الى رأيه

واذا كان رأيه السابق في التحول والارتقاء الحيوانى قد صدم الكتب الدينية صدمة شديدة لانه يرجع اصل الانسان الى الحيوان فان رأيه الجديد يؤيد الكتب الدينية تأييداً يسر به اهل المذاهب والاديان . ذلك انه يقول اننا نحن الآن ساكنون على الارض في مركز الكون كله خلافاً لاعتقاد العلماء باننا ذرة طائرة في فضاء مثل باقي الذرات . فترتبنا في الخليقة مرتبة مستثناة ممتازة وربما لم يكن في فضاء الابدية كله حالة كحالتنا . وفضلاً عن ذلك فانه يعتقد ان الغرض من وجود كل هذه العوالم والاجرام الواسعة هو إيجاد نفوس حية في ابدان البشر الفانية وترقية هذه النفوس

ولكن باذا يؤيد المؤلف اعتقاده باننا في مركز الكون ؟

يؤيد اعتقاده بادلة فلكية واليك خلاصتها

يقول ان عدد النجوم التي تكشف قد اخذ بالتناقض مع ان النظارات المكبرة تزداد انقائاً شيئاً فشيئاً . فهذا دليل على ان عدد النجوم الغير المنظورة اقل مما يظنه العلماء . وان الفضاء السماوي المجبول يكاد يكون خالياً . وزد على ذلك ان صور السماء التوتوغرافية ونواميس

النور وتجارب المسترنيو كومب فيها - كلها تدل على ان الشمس عددها محدود في الفضاء وقد ثبت لدينا ان هذه النجوم ليست كلها ثابتة فان لاكثرها ان لم نقل كلها «حركة ذاتية» . وليس اقرب هذه النجوم اليها اشدّها سطعاً واثراً كما هو الشائع بل اقربها اليها تلك التي حركتها الذاتية اسرع من حركة غيرها في نظرها

وهذه النجوم التي هي اقرب النجوم اليها ليست مجمعة في جانب واحد في الفضاء على جوانب المجرة (طريق التبانة عند العوام) او في جانب آخر بل هي منتشرة في جميع انحاء الفضاء السماوي . وهي منتشرة هذا الانتشار بشكل كروي اذ لو لم يكن شكلها كروياً لما كان لا انتشاراً ما له من الانتظام . ورتبة الارض من هذه النجوم القريبة منها هي في الوسط اي اننا نحن في وسط مجموعها الكروي

ثم ان المجرة (طريق التبانة) تشرف على اكثرية النجوم في الفضاء لان هذه النجوم متجمعة على جوانبها . وقد اقام هرشل الدليل على ان هذه المجرة هي عبارة عن دائرة في الفضاء بالنظر اليها . فنحن « يجب » ان نكون في وسط هذه الدائرة وولاً ذلك لما امكنا ان نرى انها دائرة . فنحن اذاً والنظام الشمسي في وسط مجموع النجوم القريبة منا . وهذا المجموع الكروي هو وايانا في وسط دائرة المجرة وحوايلها النجوم المختلفة . وبناءً على ذلك نكون نحن في وسط الكون وما وراء تلك الحدود خلاء وفضاء لا شيء فيه

ثم ان مرتبة الارض من النظام الشمسي مرتبة ممتازة ايضاً وهي المرتبة المتوسطة التي يمكن وجود الحياة فيها . فعلى ذلك يكون الانسان غرض هذه الاكوان كلها ولا يكون للحياة اثر في غير هذه الارض

هذا هو رأي المستر ولس الجديد الذي اقام اهل العلم واقعدهم في هذين الشهرين . وهو رأي جميل لانه يعيد الى الانسان كبرياءه وعظمته البشرية وان كان يحرمه لذة الامل في ان يكون له في العوالم السماوية اخوان من بني الانسان ارق من انسانية الارض وابعد منها عن الشرور والمصائب المختلفة